الفصل الأول
المداخل النظرية فى دراسة الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع (*)

تعددت المداخل النظرية فى دراسة الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع ، ويعكس هذا التعدد ، تعدد الاتجاهات النظرية من ناحية ، وشمول موضوع المرأة واتساعه ، وتعدد جوانبه من ناحية أخرى . هذه المداخل تكشف فى مجملها عن محاولات مختلفة واتجاهات متباينة فى دراسة الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع وتفسيرها .

وتكشف النظرة المتعمقة لهذه المداخل النظرية أنها تنطلق من مدخلين أساسيين فى دراسة المجتمع : الأول هو مدخل البناء Structure ويعنى بدراسة أدوار المرأة فى ضوء بعض التغيرات الاجتماعية والبنائية مثل نمط الإنتاج Mode of Production والتدرج الاجتماعى Social Stratification والمكانة Status والطبقة Class والثانى هو مدخل الثقافة Culture ويعنى بدراسة أدوار المرأة فى ضوء مفاهيم ثقافية مثل القيم والمعتقدات والتصورات والتقاليد . ورغم وجود تداخل بين هذين المدخلين إلا أن المدخل الأول يعكس علم الاجتماع ، بينما يعكس المدخل الثانى اهتمام الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية على وجه الخصوص .

(*) تم الاستناد فى هذا الجزء إلى : عائدة هانم عبداللطيف وآخرون (دكاترة) ، **الأدوار الاقتصادية التقليدية للمرأة فى الريف المصرى** ، دراسة سوسيوأنثروبولوجية ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٨٨ ، ص ص ٤ ـ ١٧ .

أولاً ـ مدخل الثقافة : Culture - Nature Dualism

يقوم هذا المدخل على افتراضات أساسية أهمها أن الفرد يعيش فى إطار ثقافى معين يحدد له طريقة حياته ، وكذا الأدوار المتوقعة منه ، ويظهر هذا المدخل فى كتابات بعض الأنثروبولوجيين الذين اهتموا بفهم وضع المرأة ومكانتها فى ضوء علاقاتها بالرجل ويرجعون تبعية المرأة للرجل إلى توحد المرأة مع الطبيعة ، حيث تمثل الطبيعة من وجهة نظرهم نقيضاً للثقافة ، وتمثل الطبيعة العنصر السلبى بينما تمثل الثقافة العنصر الإيجابى ومن ثم تمثل المرأة العنصر السلبى بالنسبة للرجل ، ورغم حاجة الإنسان إلى الطبيعة إلا أنه يحاول دائماً التحكم فيها والسيطرة عليها ، تماماً مثل مايفعل الرجل فى علاقته بالمرأة .

وبذلك فإن ثقافة المجتمع بالمفهوم الواسع ، من قيم وعادات وتقاليد وتصورات ، هى التى يتحدد فى إطارها الأدوار المتوقعة للفرد ، وفى إطار هذا المدخل تفسر مكانة المرأة وما تقوم به من أدوار فى المجتمع من خلال ثقافة المجتمع وما تضفيه من قيمة اقتصادية واجتماعية على الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع .

وتختلف القيمة التى تضفيها الثقافة على الأدوار التى يقوم بها الفرد باختلاف هذه الثقافة من مجتمع لآخر ، غير أن الأنثروبولوجى ليفى شتراوس L. Shtrauss يذهب إلى أن هناك بعض أوجه الشبه فيما يتصل بوضع المرأة فى معظم الثقافات ، فثقافة المجتمع بعامة تضفى عادة قيمة مرتفعة على الأدوار التى يقوم بها الرجل ، بينما تعطى وزناً هامشياً للأدوار التى تقوم بها المرأة حتى ولو ارتفعت القيمة

الاقتصادية لهذه الأدوار .

وتكون الأدوار التى تقوم بها المرأة بمثابة إفراز لمجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع ، ولذا فإن طبيعة هذه الأدوار وأهميتها يختلف باختلاف المجتمع وثقافته .

ويهتم مدخل الثقافة بانتماء الفرد إلى نوع Sex معين ويعتبره بعداً من أبعاد الشخصية ويفسر وضع المرأة ومكانتها فى ضوء تبعيتها للرجل وفى ضوء تقسيم العمل القائم على التفرقة بين الذكور والإناث. وعلى أساس الفصل بين أدوار المرأة وأدوار الرجل يقوم نظام للمعتقدات ، حيث يتم النظر إلى الفصل بين الدور والوظيفة فى كثير من الثقافات باعتباره جزء من نظام الكون وسنة من سنن الحياة وأن أي محاولة لتغيير ذلك ينظر إليها على أنها تهديد للمجتمع .كما يرى هذا المدخل أيضاً ، أن أدوار المرأة تختلف فى كل طور من أطوار حياتها Life cycle ، وبالتالى يختلف وضع المرأة ومكانتها باختلاف هذه الأطوار .

وعموماً فإن مدخل الثقافة يربط بين وضع المرأة وطبيعة البناء الثقافى الذى تعيش فيه المرأة ، والذى يؤثر على تباين أدوار المرأة وتتحدد فى ضوئه القيمة الاقتصادية لما تقوم به من أدوار فى المجتمع ، ومن ثم فإن هذا المدخل يؤكد على أهمية أخذ ثقافة المجتمع بالمفهوم الواسع فى الاعتبار عند التخطيط لبرامج التنمية بعامة ، وبرامج المرأة بخاصة حتى لايحدث هناك تعارض بين برامج التنمية تلك وثقافة المجتمع ، فقد عارض بعض الفلاحين فى جنوب الهند بعض الأساليب الحديثة فى

الزراعة ، وذلك أن تدريب العاملات من النساء على هذه الحرف كان يقتضى قيام بعض الرجال من خارج القرية بعملية التدريب .

غير أنه يؤخذ على هذا المدخل إغفاله للتباين فى النمط العام أو التغييرات التاريخية التى يمكن أن تطرأ على الثقافات المختلفة إلى جانب وجود ثقافات فرعية تشكل جزءاً من البناء الثقافى الأكبر وتتعرض بالتالى لتغيرات تصيب هذا البناء ، وتنعكس بالطبع على الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع ، ويعد هذا المدخل للتفسير ملائماً لطبيعة وملامح البناء الثقافى الموجود فى المجتمعات التقليدية على وجه الخصوص .

ثانياً ـ مدخل التحديث Modernization :

يمثل موضوع التغير أحد موضوعات الاهتمام الرئيسية للبحث الاجتماعى ، ومن ثم فإنه يمثل محور اهتمام النظرية الاجتماعية . ورغم ذلك فإنه لايوجد هناك اتفاق حول كيفية تناول موضوع التغير وتحديد أسبابه ، وما إذا كان التغير نتيجة عوامل خارجية أم أنه نتيجة عوامل داخلية كافية فى هذا النسق الاجتماعى ذاته .

ويعنى مدخل التحديث بتغير أدوار المرأة الريفية فى ضوء التغيرات التى تطرأ على المجتمع ككل وذلك من خلال :

أ ـ تحديث الاستخدامات التطبيقية للعلوم Technology مما يؤدى إلى التحويل من الأساليب التقليدية إلى الأساليب الحديثة .

ب ـ تتجير Commercialization الزراعة بالتحويل من زراعة

الكفاف إلى الزراعة للسوق ، مما يؤدى إلى التخصص فى إنتاج المحاصيل الحقلية ونمو العمالة المأجورة .

جـ ـ ميكنة الزراعة ، أي التحول إلى الاعتماد على الآلة بقدر كبير بدلاً عن الإنسان .

د ـ عمليات التحضر ، الذى يعنى تغيرات فى البعد الإيكولوجى والتحول من الريف والقرية إلى المراكز الحضرية الكبيرة وما تعكسه من سمات وخصائص .

أي أن هذا المدخل يركز على تفسير أدوار المرأة فى ضوء ديناميات التغير واتجاهه ومن ثم فإن هذا المدخل يعنى بالأدوار الجديدة التى تقوم بها المرأة فى المجتمع وانعكاس تلك الأدوار على مكانة المرأة فى المجتمع.

ويقترح فى هذا الشأن أن التحديث يعمل على توفير فرص أفضل للمرأة من خلال التغير ، وأن التعليم والتحضر والهجرة والتصنيع وانتشار التجديد الاجتماعى والثقافى ، يلعب دوراً كبيراً فى إتاحة فرص المشاركة للمرأة .

ويرى أنصار هذا المدخل أن ماتقوم به المرأة من أدوار ، إنما يرتبط بطبيعة البناء الاجتماعى القائم وما يطرأ على هذا البناء من تغيرات . ويركز على التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التى يكون لها آثارها المباشرة على الأنشطة الإنتاجية ، وتؤدى خلال فترة زمنية معينة إلى تغير أساسى فى البناء الاجتماعى . وذلك يؤدى بدوره إلى ظهور أشكال للعمل أكثر تخصصاً ، وتمايز بين زراعة محاصيل السوق وزراعة الكفاف ، وفصل وحدات الإنتاج عن وحدات الاستهلاك وإحداث

تغييرات فى الأسرة والتنظيم الاجتماعى بصفة عامة .

وتنعكس تلك التغييرات على طبيعة ماتقوم به المرأة الريفية من أدوار اقتصادية تساهم فى دعم مستوى معيشة الأسرة والمجتمع إلى جانب مساهمتها فى ظهور معايير جديدة للمكانة . وبذا فإن هذا المدخل يقدم لنا تفسيرات حول تغير أدوار المرأة فى المجتمع فى ارتباطها بالعوامل الخارجية والداخلية ، كما يعنى أيضاً بتوضيح الآثار الناتجة عن هذا التغيير .

غير أن التحديث لايعنى التحول إلى الأحسن بالنسبة للمرأة ، حيث تذهب بعض الآراء إلى أن التحديث قد صاحبه زيادة فى تبعية المرأة للرجل بل وتبعيتها للمجتمع فى بعض المجتمعات الإفريقية .

وعموماً فإن مدخل التحديث يعنى بإظهار الأدوار الجديدة للمرأة فى ضوء عمليات التغيير التى يتعرض لها المجتمع ككل ، فإذا كان مدخل الثقافة يتبنى وجهة نظر جامدة Static فى دراسة أدوار المرأة ، فإن مدخل التحديث يولى أهمية كبيرة للجوانب الحركية المتغيرة Dynamic فى دراسة هذه الأدوار .

ورغم أهمية هذا المدخل فى التفسير ، تبقى قضية هامة وهى أن منظرى التحديث غالباً ماينون نماذجهم على أساس فهم المصاحبات الاجتماعية للتنمية الاقتصادية الغربية ، وأن هذه النماذج ربما كانت غير ذات صلة كبيرة بفهم عمليات التنمية والتغير التى تحدث فى مجتمعات الدول النامية اليوم ، والتى تعد ظروفها الاجتماعية والتاريخية وظروفها المعاصرة مختلفة تماماً ، وتظل أوجه القصور الأساسية التى

ينطوى عليها هذا المدخل فى الافتراض بوجود نموذج غربى متميّز للتنمية ، وعلى الدول النامية تطبيق هذا النموذج إذا ما أرادت تحقيق التنمية فيها .

ثالثاً ـ المدخل المادى Materialism :

يؤكد هذا المدخل على أن فهم الأدوار الاقتصادية للمرأة فى المجتمع إنما يتم فى ضوء فهم النسق الاقتصادى للمجتمع ، ويقوم هذا المدخل فى التفسير على مفهوم أساسى هو أسلوب الإنتاج ، بما يشمله من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ، ويؤكد على أهمية التفسير المادى التاريخى للظواهر الاجتماعية ، ويعد مفهوم الطبقة من المفاهيم الأساسية التى يرتكز عليها هذا المدخل فى التفسير .

وبصفة عامة يولى هذا المدخل أهميته للعوامل المادية Material Factors فى التفسير ، ويذهب إلى أن البناء الاقتصادى هو المسئول عن تحديد الجوانب اللامادية ، للمجتمع ويؤكد على أهمية الفهم التاريخى للظواهر .

ويمثل الاقتصاد الريفى نسقاً مميّزاً من الإنتاج ، كان إلى وقت قريب يختلف عن النظم الاقتصادية الأخرى ، حيث يتميّز ببعض الخصائص والملامح العامة ، وكان لذلك انعكاساته على ماتقوم به المرأة من أدوار فى المجتمع ، ولم يكن الاقتصاد الريفى بمعزل عن الاقتصاد القومى ، وبالتالى فقد تعرض لبعض التغيرات التى تعرض لها الاقتصاد القومى .

ورغم التحول الذى طرأ على اقتصاد المجتمع الريفى من اقتصاد الكفاف إلى اقتصاد السوق ، إلا أن أدوار المرأة الريفية لم تتعرض لتغييرات واضحة ، حيث انحصرت هذه الأدوار داخل المنزل إلى حد كبير ، كما اقتصر قيام المرأة على الأدوار الهامشية ، بينما احتفظ الرجل لنفسه القيام بالأدوار الأساسية فى حياة الأسرة .

ومن ثم فإن المدخل المادى يفسر أدوار المرأة ومكانتها فى المجتمع فى ضوء حجم مشاركتها فى عمليات الإنتاج ، ويفسر تدنى مكانتها فى ضوء قيامها بأدوار هامشية وعدم إتاحة الفرصة لها للمشاركة فى إنتاج سلع ذات قيمة اقتصادية عالية فى السوق . كما أن هذا المدخل يفسر أدوار المرأة فى ضوء متغيرات الطبقة التى تنتمى إليها وكذا المرحلة التاريخية التى يمر بها المجتمع بصفة عامة ، وهذا يشير بدوره إلى أن الطبقة كمفهوم تعكس مجموعة من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية التى تؤثر بشكل واضح فى الأدوار التى تسند للمرأة فى المجتمع .

رابعاً ـ مدخل التبعيـة Dependency :

أثبتت الأحداث فى الفترة الزمنية الأخيرة ، أن الاستقلال السياسى الذى حصلت عليه الدول النامية فى الخمسينيات ، والستينيات ، لم يقض على التبعية والسيطرة من جانب الدول المصنعة . ويمثل مدخل التبعية التحول من مفهوم الطبقة إلى مفهوم « التبعية » فى التفسير ويقوم على مفاهيم أساسية مثل السيطرة والاحتواء والاستقلال من جانب الوحدات الأكثر نمواً للوحدات الأقل نمواً .

ويفسر هذا المدخل عمليات التنمية فى الدول النامية فى ضوء علاقات التبعية بين المراكز الكبرى والتوابع ، ويعزو التخلف الاقتصادى فى هذه الدول إلى تبعيتها لنظام السوق العالمى الذى تسيطر عليه الدول الرأسمالية الصناعية التى تتحكم فى رأس المال والتطبيقات العلمية الحديثة Modern Technology باعتبارها من العوامل الضرورية للنمو الاقتصادى فى أي مجتمع من المجتمعات ويفسر مدخل التبعية تخلف منطقة معينة أو جماعة معينة داخل نفس المجتمع ، بنفس المنطق الذى يفسر به تخلف المجتمع ككل فيذهب فرانك Frank, A. إلى أن علاقات التبعية تبدأ من عواصم العالم الكبرى بالمزارع الكبيرة أو التجار الريفيين ، ويذهب إلى أن أفقر فلاح فى أبعد قرية من قرى البلاد المتخلفة إنما يرتبط فى ظل علاقات توسعية ، بالرأسماليين فى البلاد الصناعية المتقدمة .

وتحرص القوى العظمى ، من خلال هذا النظام ، على فرض السيطرة والاحتواء على الدول النامية والإبقاء على تبعيتها لها بما يخدم حاجات تطورها الاقتصادى حيث نجد بول باران Paul, Baran والذى يعد من أبرز أنصار مدخل التبعية ، يذهب إلى أن الدول الصناعية المتقدمة فى الغرب كانت تعارض بشدة التصنيع فى الدول النامية ، لأن تلك الأخيرة هى التى تزود الدول الصناعية المتقدمة بالمواد الخام وتمثل فى نفس الوقت سوقاً للتوزيع والاستثمار .

ومن هنا فإن الدول المتقدمة ، تحاول دفع الدول النامية للسير فى نفس الخط التنموى ، بل وتحاول فرض مداخل معينة تؤدى إلى بقاء

التخلف واستمرار أشكال التبعية ، ولذا فإن التنمية فى الدول النامية يجب أن تتضمن العمل على التقليل من التبعية أو الحد منها على الأقل . ويذهب مدخل التبعية فى تفسيره لأدوار المرأة ومكانتها فى المجتمع فى ضوء علاقات التبعية المتعددة ، فيرى أنصار هذا المدخل أن تدنى قيمة الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع يرجع إلى علاقات التبعية التى ترتبط ارتباطاً أساسياً بنمط الإنتاج الرأسمالى ، وتبعية المجتمع الريفى للمجتمع الحضرى وانتهاءً بتبعية المرأة للرجل ، وذلك فى إطار تبعية الوحدات الأقل نمواً للوحدات الأكثر نمواً .

ويقوم هذا المدخل فى تفسيره لأدوار المرأة على افتراض أساسى مؤداه ، أن أسلوب الإنتاج الرأسمالى ، يحرص على الإبقاء على المرأة كقوة عمل احتياطية يستعان بها عند الضرورة ويستغنى عنها تبعاً لمتطلبات الإنتاج ، وذلك حتى يمكن لهذا النظام أن يحافظ على بقائه وأن يتجنب حدوث موجات تضخم أو كساد ، إذ تظهر الحاجة إلى المرأة فى أوقات الحروب مثلاً ، ففى أوقات الحرب فى إنجلترا كان هناك تشجيع كبير للمرأة على أهمية ترك المنزل والعمل فى المصانع والمكاتب للقيام بالأدوار التى كان يقوم بها الرجال . وبمجرد عودة الرجال من الحرب ، ظهرت هناك دعاوى قوية تنادى بضرورة عودة المرأة إلى البيت والاستغناء عنها فى سوق العمل ، بل ظهرت هناك دعاوى قوية تؤكد على أهمية دور المرأة كأم كل الوقت .

ويذهب أنصار هذا المدخل فى التفسير إلى أن الأدوار التى تقوم بها المرأة تعد أكثر ارتباطاً بالاقتصاد المحلى Domestic Production كما

أنها تقوم بأدوار أقل تخصصاً Less Specialized وأقل إنتاجية Less Productive وإذا كان هذا الأمر صحيحاً بالنسبة للدول الضالعة فى النظام الرأسمالى ، أو المتقدمة ، فإن الأمر يعد أكثر سوءاً بالنسبة للمرأة فى المجتمعات التى تأخذ بهذا النظام . والرأى الغالب بين المفكرين هو أن هذا المدخل يعد من أنسب مداخل تفسير التنمية والتخلف فى الدول النامية عموماً ، ولذا فإن البعض يستند كثيراً إلى هذا المدخل فى فهم وتحليل الأدوار الاقتصادية للمرأة فى المجتمع الريفى إذ تكشف النظرة المتعمقة أن المرأة تسير فى خط التبعية ، وإن كانت لم تصل إلى نهاية هذا المدخل بعد ، وهناك بعض الخصائص أو السمات التى تميّز الأدوار التى تقوم بها المرأة فى المجتمع تؤدى إلى التبعية وتشجع على استمرارها ومن أهم خصائص هذه الأدوار أنها تعد أقل تخصصاً بالنسبة للأدوار التى يقوم بها الرجل ، ويكون العائد من وراء هذه الأدوار غير واضح Invisible فى معظم الأحيان ، هذا فضلاً عن أن تلك الأدوار تكون أكثر ارتباطاً بالاستهلاك الأسرى والسوق المحلية ، فى الوقت الذى ينتج فيه الرجل للسوق بمستوياتها المختلفة .

وفى ضوء التغيرات التى طرأت على بناء المجتمع الريفى وثقافته والتى أثرت بشكل واضح على الوظائف الإنتاجية للأسرة الريفية بعامة والمرأة الريفية بخاصة ، فقد تغيّرت أدوار المرأة فى المجتمع الريفى إلى حد ما ، وأن أبرز تلك التغيرات تشير إلى مايلى :

أ ـ التحول من الاعتماد على الذات إلى الاعتماد على الحكومة باعتبارها المسئول الأول عن إشباع احتياجات المواطنين .

ب ـ التحول إلى مجتمع الاستهلاك غير المخطط أو الرشيد Irrational فى إطار مايمكن أن يسمى بالهوجة الاستهلاكية التى تعرض لها المجتمع المصرى ككل .

جـ ـ انحسار مجتمع الدورات الاقتصادية الصغيرة وظهور الدورات الاقتصادية الكبيرة ، حيث تم الانتقال من الاقتصاد الأسرى والقروى الضيق إلى الاقتصاد الإقليمى والقومى بل والعالمى .

د ـ التحول من شكل الاستثمار الفردى إلى أشكال الاستثمار الجماعى .

وقد كانت تلك التغيرات وغيرها ، عوامل أساسية فى تغير الاقتصاد المصرى عموماً .

وفى ظل هذه التغيرات ظهر نوع جديد من المرأة المصرية ، والمرأة الريفية خاصة ، تشعر بأنها جزء من النظام العام الذى تكون فيه مسئولة من الحكومة أو الدولة (الأسر المنتجة) وأصبحت الأسر الريفية تعتمد على المجتمع فى مقابلة معظم مستلزماتها الأساسية ، وأصبحت المرأة فى ظل علاقات التبعية المحلية والدولية ، تقوم بأدوار مخططة أو مفروضة من أعلى فى معظم الأحيان . حيث أصبحت المرأة جزء من دائرة أكبر . تنتج لغيرها ، بل قد لاتعرف الكثير عن الأشياء التى تنتجها ، بعدما تغيرت علاقات الإنتاج والتسويق ولم يعد الاعتماد على المواد الخام المحلية فقط ، بل أصبح هناك اعتماد على مواد خام مستوردة من خارج البيئة المحلية .